

محمد علي قطب

الشهيد وأوسمته العشرة

كتاب القبول

م. ب. : ٢٨٧٤
بيروت - لبنان

عبد الخالق محمد

محمد علی قطب

الشہید واُسْمَةُ الْعَشْرَةِ

کتاب المصطفیٰ

بیروت لبنان

م. ب. ۳۸۷۴

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تُخَسِّنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ ^(١) عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ^(٢) ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ^(٤) اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ ^(٥) بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ^(٦) وَلَا هُمْ يَخْزَوْنَ ^(٧) ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ ^(٨) اللَّهِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ ^(٩) وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ ^(١٠) أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضيل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، صلاة وسلاماً دائماً إلى يوم الدين .

فإن الشهادة بمبناها ومعناها، من حيث اللفظ الحرفي ومن حيث مضمونها ودلالاتها [وقف] على الإسلام وخذه ، دون غيره من الرسالات السماوية والأعراف الإنسانية الأئمة ...

ولقد تأثرت بعض الجهات الأيديولوجية بسمو المعنى وتبل الغرض ، فأطلقت تَجَوُّزاً واصطلاحاً على الذين يُقَضُّون ويموتون في سبيل مائتحملاً من فكر .. وتصوُّر ، سواء من يموتون منهم في ميدان معركة ، أو من جرَّاء حُكْم ظالم أو تُعَسَفَى .. !

ولقد دَرَجَتَ بَعْضُ الدُّوَلِ والأُمَمِ في العصور الحديثة المُتَأَخِّرَةِ
على ابتكار رموز تُكْرَمُ بِهَ أحياءُها أَمْواتُها مِمَّنْ يُؤَدُّونَ خِدْمَاتٍ جُلَى،
للوَطَنِ أَوْ لِلأُمَّةِ أَوْ لِلنَّظَامِ كما أَنَّها تَدْرَجَتَ بهذا الرَّمزِ تَبَعاً لقيمةِ
الخدمة ، وَسَمُّوا ذلكَ الرَّمزَ : [وساماً] .

وَنَحْنُ في مَعْرِضِ الحديثِ عن الشهادة نَوَدُّ أَنْ نَعُودَ بِها إلى أَصالتها
وحقيقتها ، لِأَنَّها قد اِخْتَلَطَتْ اختلاطاً كبيراً وكثيراً .. ، ثم تداخلتْ
حتى فَقَدَتْ مُعْطِيَّاتِها وميزاتها ومميّزاتها .. !
وكذلك ...

فإِنَّ الأَوْسَمَةَ الَّتِي اخْتَصَّ اللهُ تَعَالَى بِها الشَّهيدَ في سبيله جديرةٌ
بالبَحْثِ والدرسِ والتَّحْلِيلِ ، والتَّعْلِيلِ ،
وهي قد خَرَجَتْ عن مَذْلُولِها الرَّمزِ ، إلى حَقِيقَةِ التَّكْرِيمِ ...
وَصَدَّقَ اللهُ العَظِيمُ .

وآخر دَعْوَانَا أَنْ الحمد لله رَبِّ العالمين

* * *

[الشهيد في الإسلام]

لفظة (الشهيد) في القرآن :

وَرَدَتْ لَفْظَةً (الشهيد) في القرآن الكريم ، بمختلف صيغها ،
بَيْنَ إِفْرَادٍ وَتَشْيِيعٍ وَجَمْعٍ خَمْسًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً ، وَلَقَدْ رَاوَحَتْ بَيْنَ
مَعْنَيْيَهَا اللَّغَوِيُّ وَالْإِصْطِلَاحِيُّ

المعنى اللَّغَوِيُّ :

يُقَالُ : شَهِدَ الشَّيْءُ فَهُوَ شَاهِدٌ ، أَيْ حَاضِرُهُ ، لَقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ^(١) .

وَيُقَالُ : شَهِدَ بِهِ إِذَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ مَشَاهِدَةٍ بِالْبَصَرِ ، أَوْ عَنْ
مَشَاهِدَةٍ بِالْبَصِيرَةِ - وَهِيَ الْإِعْتِقَادُ وَالْعِلْمُ - ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ ^(٢) .

قَالَ : ابْنُ مَنْظُورٍ ^(٣) :

(٢) يوسف (٨١)

(١) البقرة (١٨٥)

(٣) لسان العرب .

(قيل الشهيد : الذى لا يغيبُ عن عِلْمه شئٌ ، والشهيد .
الحاضر ، فقيل ، من أُنْبيءِ المبالغة ، من فاعل . فإذا اعتبر العلم مُطلقاً
فهو : العليم ، وإذا أُضيف إلى الأمور الباطنة فهو : الخبير ، وإذا
أُضيف إلى الأمور الظاهرة فهو : الشهيد ...)

(استشهد فلان ، فهو : شهيد ، والمشاهدة : المعاينة . وشهده
شهوداً أى : حَضَرَهُ ، فهو : شاهد .

وقوم شهود ، أى : حُضُور ، وامرأة مُشْهَد ، أى : حاضرة
البعل .

وفى حديث « عائشة » - رضى الله عنها - : قالت لا مرأة
« عثمان بن مظعون » وقد تركت الحُضاب والطَّيب : أمشهد أم
مغيب ؟ قالت : مشهد كمغيب ، تريد أن زوجها حاضر ولكنه
لا يَقْرِبها فهو كالغائب عنها) (أ . هـ)

* * *

وعن « النضر بن شميل » الشهيد هو الحي
 قال « أبو منصور » أراه تأول قول الله عز وجل :
 ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١) .

كَانَ أَزْوَاجُهُمْ أُخْضِرَتْ دَارَ السَّلَامِ أحياء ، وَأَزْوَاجُ غَيْرِهِمْ
 أُخْضِرَتْ إِلَى الْبَيْتِ .
 ثم يَقُول :

والشهيد : المقتول في سبيل الله والجمع : شهداء (٢) .

قال « السهيلي :

وهذا الإسم مأخوذ من الشهادة ، أو من المشاهدة ، فإن كان من
 الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود ، أى مشهود عَلَيْهِ ومشهود له
 بالחסنة . أى مشهود عليه فلأن النبي ﷺ حين وقف على قتلى
 « أحد » قال : [هؤلاء الذين أَشْهَدَ عَلَيْهِمْ] .

أى أَشْهَدُ عَلَيْهِم بِالوفاء .

(٢) اللسان : لابن منظور .

(١) سورة : آل عمران - الآية : ١٦٩

وقال : (عليهم) ولم يُقَلْ (لَهُمْ) ، لأن المعنى : أجيء يوم
القيامة شهيداً عليهم ؛ وهى ولاية وقادة .

ويجوز أن يكون من الشهادة ، وتكون (فاعلاً) بمعنى
(فاعل) ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾
أى : تشهدون عليهم .

وهذا ، وإن كان عاماً فى جميع أمة « محمد » - عليه الصلاة
والسلام - فالشهداء أولى بهذا الإسم ، إذ هُمْ تَبَعَ لِلنَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ .

قال تعالى :

﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ ^(١) .

وإن كان من (المشاهد) فهو (فعيل) بمعنى (فاعل) أيضاً ،
لأنه يُشَاهِدُ ملكوت الله ويُعَايِنُ من ملائكته ما لا يُشَاهِدُ غيره .

ويكون أيضاً بمعنى (مفعول) وهو من المشاهدة ، أى أن
الملائكة تُشَاهِدُ قَبْضَةَ والعروج بروجِهِ .

وأولاهما كُلُّهَا بالصَّحَّةِ أَنْ يكون (فاعلاً) بمعنى (مفعول) ؛

(١) النساء : ٦٩ .

ويكون معناه : مَشْهُوداً لَهُ بِالْحَسَنَةِ ، أو يَشْهَدُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ
بالمعنى السابق .

ولقد نَقَلَ الإسلام لفظة الشهيد من مَذْلُومِهَا اللَّفْظِيُّ المجرّد الذي
هُوَ - كما قَدَّمْنَا - : الحضور ، أو العِلْم ، أو المشاهدة ، إلى معنى
اصطلاحى ، هُوَ : مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِراً مُحْتَسِباً ، مُقْبِلاً غَيْرَ
مُذْبِرٍ .

وقد نَقَلَ « ابْنُ حَجَر » فى كتابه « فَتْحُ البَارِى » - كتاب الجهاد
- أسباباً مختلفة فى تعليل هذه التَّسْمِيَةِ ، منها :

- ١٠٠ - لأن الشهيد حَى ، فكأنما روحه شاهدة ، أى حاضِرة .
- ٢ - لأن الله يشهد عند خروج رُوحِهِ ما أَعَدَّ لَهُ مِنَ الكرامة
بِالْقَتْلِ .
- ٣ - لأن الله وملائكته يشهدون له بِالْجَنَّةِ .
- ٤ - ' لأنه يشهد له بالأمانِ مِنَ النَّارِ .
- ٥ - لأن الملائكة تشهد له بِحُسْنِ الخاتمة .
- ٦ - لأن الأنبياء يشهدون له بِحُسْنِ الاتِّبَاعِ .
- ٧ - لأن الله يشهد له بِحُسْنِ نِيَّتِهِ .
- ٨ - لأنه شاهد الملائكة عند احتضاره .

سبيل الله ...

ولقد كان مَصْدَرُ تحديد معنى سبيل الله في الاصطلاح الشرعى هو الأحاديث الكثيرة المروية عن رسول الله ﷺ ، فقد نَقَلَ الحافظ « المنذرى » في مختصره لصحيح « مسلم » عن « أبى موسى الأشعرى » - رضى الله عنه - أن رجلاً أعرابياً أتى النبى ﷺ فقال :

[يا رسول الله ... الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذَّكْرِ ،
وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِرَى مَكَانِهِ ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟؟]

فقال رسول الله ﷺ :

- من قاتل لتكون كلمة الله أَعْلَى فهو في سبيل الله .

ونقل عن « سليمان بن يسار » - رضى الله عنه - قال :

تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ « أبى هريرة » ، فقال له [نَاتِلُ] ^(١) أهل الشام ، وفي رواية [ناقل] الشام :

(١) مكنا .

- أيها الشيخ حَدَّثَنِي حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
قال :

- نعم ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول :
[إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ
بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا ، قال ، فما عَمِلْتُ فيها ؟ قال : قَاتَلْتُ فِيكَ
حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ ، قال : كَذَبْتُ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ :
جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي
التَّارِ ...] ثُمَّ اكْتَمَلَ الْحَدِيثُ .

رَوَى عَنْ « قَتَادَةَ » - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :
[أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ
أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ .

فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكْفُرَ عَنِّي خَطَايَايَ ؟
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- وَكَيْفَ قُتِلْتَ ؟؟

قال .

- أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ ؟؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ ... إِلَّا الدُّيْنُ ...
فَإِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي ذَلِكَ] .

وَوَاضَحٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ شَيْءٍ غَيْرِ هَذَا .

عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُقَاتِلُ قَاصِدًا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يُدَافِعُ عَنْ
أَرْضِ وَطَنِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ ؛ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى بَارِزًا
فِي نَفْسِهِ مُتَحَقِّقًا مِنْهُ بِحَيْثُ يَكُونُ مُنْطَلِقَهُ ابْتِدَاءً مِنْ مَفْهُومِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ
اللَّهِ ، وَإِعْزَازِ دِينِهِ .

الشهيد في الإسلام

ولقد أطلق الإسلام على كل من قُتِل وهو يجاهد الكفار لإعلاء كلمة الله وصف الشهيد ، وهو من قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا .

ولكن ثمة نُقُولُ أُخْرَى عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تعرّف الشهيد بتعريفاتٍ أُخْرَى ؛ فقد روى الإمام « أحمد » و « ابن حبان » عن « سعيد بن زيد » - رضى الله عنه - قال : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- [ما تغدّون الشهيد فيكم ؟

فقالوا :

- من قُتِلَ في سبيلِ الله .

فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- إن شهداء أمتي لقليل !!! مَنْ قُتِلَ دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد . [

وقد روى « البخارى » عن « أبى هريرة » - رضى الله تعالى عنه

[أن رسول الله ﷺ قال :

- الشهداء خمسة : المطعون والمبتون والغرق وصاحب الهدم
والشهيد في سبيل الله] .

ونقل « المنذرى » عن « أبى هريرة » - رضى الله عنه - :

[جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله !! أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟

قال : فلا تعطيه مالك ...

قال : أرايت إن قاتلنى ؟

قال : قاتله ...

قال : أرايت إن قتلنى ؟

قال : فأنت شهيد .

قال : أرايت إن قتلته ؟

قال : هو فى النار] .

* * *

كما نقل « ابن حجر » روايات أخرى تتنوع وصنف الشهيد ،
وتضيف إلى ما سبق صاحب ذات الجنب ، والمرأة تموت وهى
نفساء ، أو التى تموت وولدها فى بطنها ، والحرق .

ولـ « النّسائي » من حديث « ابن زيد » مرفوعاً :

[مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ] .

وكذلك فقد وَرَدَ من حديث « أبي مالك الأشعري » مرفوعاً :

[مَنْ وَقَصَهُ فَرَسُهُ أَوْ بَعِيرُهُ فَهُوَ شَهِيدٌ] .

[وَمَنْ لَدَغَتْهُ هَامَةٌ فَهُوَ شَهِيدٌ] .

وصَحَّحَ « الدارقطني » من حديث « ابن عمر » :

[مَوْتُ الْغَرِيبِ شَهَادَةٌ] .

ولـ « ابن جبان » من حديث « أبي هريرة » :

[مَنْ مَاتَ مُرَابِطاً فَهُوَ شَهِيدٌ]

ولـ « الطبراني » من حديث « ابن عباس » مرفوعاً :

[الْمَرْءُ يَمُوتُ عَلَى فَرَاثِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ]

وقال ذلك أيضاً في :

[السَّرِيقُ وَالَّذِي يَفْتَرِسُهُ السَّبُعُ] .

وقد قال « ابن حجر » إنه قد اجتمع له من الطُّرُق الجيدة أكثر من عشرين خَصْلَةً ، إذا مات الإنسان متصفاً بإحداها كان شهيداً .

ونقل « ابن التين » أن هذه كلها ميّات فيها شِدَّة تفضّل الله على
أمة « محمد » ﷺ بأنها جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم ،
ويُبلغهم بها مراتب الشهداء^(١) .

(١) كتاب الشهيد في الإسلام لمفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ - حسن خالد .

الوسام الأول :

﴿ وَلَا تُخَسِّنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ .. ﴾

أيها الإنسان المؤمن ،

ذلك الذى كان حاضراً شاهداً ، بقلبه وجسده وعقله ، ليصره
ولبصيرته ، استشهاداً الذين قُتلوا فى سبيل الله يوم « أُحُد » ، وعلى
رأسهم سيد الشهداء « حمزة بن عبدالمطلب » - أسد الله - رضى
الله عنهم أجمعين ...

أيها الإنسان المؤمن ...

لا تظننهم أمواتاً من حيث الظاهر الذى ترى ، بل هم أحياء ...

فالظن لا يغنى من الحق شيئاً ...

ذلك أن حقيقة الموت لا يعرفها بأبعادها وصورها وأجوائها
وانتقالاتها وأنفعالاتها ... و ... إلخ ، إلا الله تعالى ،

وهو سُبْحَانَهُ ، الذى يَقُولُ فى شَأْنِ الذين يُقْتَلُونَ فى سَبِيلِهِ أَنَّهُمْ :
أُحْيَاء .

ويؤكد على تلك الحقيقة بمعناها ومبناها فى آية أُخْرَى فَيَقُولُ عَزَّ
من قائل :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاء وَلَكِنْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴾

فَكَانَ سُبْحَانَهُ - جَلَّ شَأْنُهُ - يُجَرِّدُ تِلْكَ الحقيقة من كُلِّ لَبْسٍ
مُمْكِنٍ أَوْ وَهْمٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَعْرِوَهَا لدى الرأى فى الرؤية العاديَّة
البسيطة ، وترفعها إلى مُسْتَوًى عَالٍ فَوْقَ كُلِّ تَصَوُّرٍ وإدراك ، وذلك
من خلال عبارة : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ التى خَتَمَ بها الآية
الكريمة ، فالحسُّ الإنسانى والشعور الأدمى أَقْصَرَ وَأَقَلُّ وَأَضْعَفُ ...
من أَنْ يُدْرِكَ تِلْكَ الحقيقة .

* * *

الحقيقة .. التى تَحَطَّتْ بِـ « الشهيد » فى سَبِيلِ اللَّهِ بِرَزْخِيَّةِ الحياة
الآخرة ، إلى الخلود والبقاء ، كما اجتازت به كُلَّ اللَّبْثِ ...
والصَّراطِ ... والبعْثِ ... إلى دَيْمُومَةِ النِّعَمِ وَالرَّضَى الْأَبَدِيِّ «
إِنَّهُمْ - [الشهداء فى سَبِيلِ اللَّهِ] - قد آخِثَلَفَتْ انتَقَالَتُهُمْ من

الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ ، وَمَنْ أَلَّوْهُم إِلَى الْحَقِيقَةِ ... عَنْ بَقِيَّةِ النَّاسِ

النَّاسُ يَمُوتُونَ ، فَتَفَارِقُ أَرْوَاحُهُمْ أَجْسَادَهُمْ ، ثُمَّ يُدْرَجُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، فَتَحُلُّ أَجْسَادُهُمْ إِلَى ثَرَايَيْهَا وَعُنَاصِرِهَا الْأُولَى ، ثُمَّ يَكُونُونَ بَيْنَ صَالِحٍ وَطَالِحٍ ، أَمَّا الصَّالِحُونَ فَإِنَّهُمْ فِي قُبُورِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الطَّالِحُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَافِرِينَ ... وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُمْ وَتَسَجَّ عَلَى مَنَاطِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ فِي رُمُوسِهِمْ فِي حُفْرَةٍ مِنْ حُفْرِ النَّارِ .. ،

إِلَى نَفْخَةِ الصُّورِ ...

فَإِذَا هُمْ جَمِيعًا مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يُنْسَلُونَ ،
ثُمَّ يَقِفُوا بَيْنَ يَدَي رَّبِّهِمْ مُسْتَوِلِينَ ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَسَوْفَ
يَحَاسِبُ حِسَابًا عَسِيرًا ...

إِلَّا الشَّهِيدَ ... ،

فَإِنَّهُ يَحْمِلُ صَكَّ الْمَبَايَعَةِ ، أَوْ يَحْمِلُهُ صَكُّ الْمَبَايَعَةِ ... عَلَى
جَنَاحَيْهِ ، كَأَنَّهُ طَائِرٌ يَرُفُّ وَيَصْدَحُ ، وَيَزْقِرُ ... ، فَغَلِينَا صِدْقَ
الْعَهْدِ وَوَفَاءَ الْوَعْدِ ، فَتَفْتَحُ لَهُ الْأَبْوَابُ .

كُلُّ قَطْرَةٍ دَمٍ تَشْهَدُ لَهُ ، ثُمَّ تَأْتِي عَلَى مَا سَلَفَ وَانْقَضَى مِنْ صُورٍ

حَيَاتِهِ فَتَطْمِسُهَا وَتَمْحُوها ، وَيَعْلُو عَلَيْهَا ، اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ الْقَانِي يَعْطِي
بَلْ يَطْفِئُ كُلَّ شَيْءٍ ...

اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكَ ... !

* * *

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ
الْجَنَّةَ ... يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ... وَغَدَاً عَلَيْهِ
حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟؟؟
فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾ ^(١) .

نَعَمْ ... وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟!!!

لَقَدْ وَفَّيْتُ أَيُّهَا الشَّهِيدُ بِعَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ، وَقَضَيْتُ مَا عَلَيْكَ ،
وَصَدَقْتُ رَبَّكَ وَخَالِقَكَ ، وَأَنْجَزْتُ الصَّفْقَةَ ... ، فَنِلْتَ بُشْرَى
الْثَّمَامِ وَالْكَمَالِ ؛ مِمَّنْ ؟؟

مَنْ رَبِّ الْوَفَاءِ ...

من الله تعالى ؛ .. من مَالِكِ الْمُلْكِ ، من واضع التاموس ، من
الْعَدْل ... اللطيف ... الخبير .

من الْعَدْل الذى أقام السماوات والأرض ومن عليها من أحياء
وما عليها من جمادات ... بِالْحَقِّ والقسطاس المستقيم .

من اللطيف الذى شَمَلَتْ رَحْمَتُهُ ، وَعَمَّ لُطْفُهُ أَدَقَّ وَالْطَفَّ ذَرَّةً
من كَوْنِهِ . من الخبير ، العليم الذى رَكَّبَ فى الموجودات طبائعها
وغرائزها وقوانينها ، وأحاط بأولها وآخرها .

سُبْحَانَ اللَّهِ !!!

بل أحياء .. !!

والموت حَتْمِيَّةٌ انتقاليةٌ تعمُّ جميع الأحياء من دُونِ استثناء ، كما أنَّ
الهلاك والفناء يلحق جميع الموجودات فى عمليةٍ تدبيريةٍ موازيةٍ لموت
الأحياء ،

يقول تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾

ويقول سبحانه :

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾

ويقول جَلَّ من قائل :

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ﴾ ..

إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... ، إلى يَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

هذه الرُّقْدَةُ ، من المَوْتِ إلى البَعْثِ ... لا يعلمها إلا الله تعالى ،
وهي لَيْسَتْ ذات بُعْدٍ زَمَنِي يَطُولُ وَيَقْصُرُ مِنْ حَيْثُ الْمُتَعَلِّقُ ، وَهُوَ
الْفَرْدُ أَوْ الْكَائِنُ .

وهذه الرُّقْدَةُ لا يعانِيها ولا يعايشها الشَّهيدُ ، مُهما كان لَوْنُها
بل هُوَ حَيٌّ حَيَاتُهُ الْأَبَدِيَّةُ خَالِدَةً ، وَانْتِقَالَتُهُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ
تَحْتَلِفُ مِنْ حَيْثُ الْجَزَاءُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا الصُّورَةَ
الْحَتْمِيَّةَ الْأُولَى ، وَهِيَ مَفَارِقَةُ الرُّوحِ لِلْجِسَدِ ، لِأَنَّهَا الْقَانُونُ الْعَامُ ،
وَالنَّامُوسُ الشَّامِلُ .

حتى الحُكْمُ اللَّفْظِيُّ الَّذِي يُنْطَلِقُ بِهِ الْأَحْيَاءُ عَلَى مَنْ يُفَارِقُ الدُّنْيَا
وَهُوَ قَوْلُنَا : قَدْ مَاتَ فُلَانٌ ... يُنَبِّهُنَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ فِي حَقِّ الشَّهِيدِ ،
فَيَقُولُ :

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ... بل أَحْيَاءٌ ...
وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

فَلَا يَصْخَرُ الْقَوْلُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَمْوَاتٌ ... بل شُهَدَاءُ !!!

شهدوا لِرَبِّهِمْ ، بِكُلِّ مَا هُوَ أَهْلُهُ - سُبْحَانَهُ -

وشهدوا لأنفسِهِمْ ... الصَّدَقَ مع الله جَلَّ جلالُهُ

ولا يَشْهَدُ إِلَّا « الْحَيَّ » الذى يَنْبِضُ قَلْبُهُ ... ﴿ ولكن
لا تشعرون ... ﴾ يَنْبِضُ قَلْبُهُ نَبْضَات ... الله أَعْلَمُ بها .. ، نبضات
الأبدية والخُلُود ، وهى بمقاييسها الربّانية تَخْتَلِفُ - ولا شك - عن
نبضاتِ الفانية الزائلة ؛ ومن هنا كان عَدَمُ الشُّعُور .. ﴿ ولكن
لا تَشْعُرُونَ ... ﴾ .

الوسام الثاني :

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ ..﴾

تختلف مقاييس الضيافة في الحياة الدنيا من حيث النزل والإكرام بحسب الضيف والمضيف .. ؛ والزيارة !!! غايةً وهدفاً و ... مقصداً .

وهذه المقاييس في التعامل البشري صورةً تقريبيةً نتخذها منطلقاً للحديث عن نزل الشهداء ...

أما المضيف هناك فهو الله تعالى ... !!

وأما المضيف فهو الشهيد ...

وأما الزيارة فليست مروراً عابراً تتباين من حيث المدة الزمنية ، ثم تنتهي بانقضاء الغرض ،

ولا يمكن لعقل بشري خاضع في أصوله وتصوراتِهِ وأحكامِهِ ، المرتبطة ببداية ونهاية ، أن يتصورها أو يحيط بها ... أو يفهمها ، إنها أعلى من مستواه ، وليست ذات حدّ ...

ولقد قَرَّبَ اللهُ تعالى صُورَةَ تِلْكَ الضِّيَافَةِ للعقل البشري من خلال
العروض والمشاهد القرآنية عن النعيم المقيم ، والتي حفلت بها الآيات
إيجازاً أحياناً ، وتفصيلاً وبياناً أحياناً أخرى .

ثم إن رسول الله ﷺ قد عبَّرَ عنها بقوله الشريف :

[في الجنة مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ .. وَلَا خَطَرَ عَلَى
قَلْبٍ بَشَرٍ]

فإن أقصى ما يعيشه إنسانٌ في الحياة الدُّنيا من نعيمٍ يَضُوقُ ...
ولا يُقَاسُ بما عِنْدَ اللهِ تعالى ، وما أُعِدَّه لعباده المتقين من رَغَدٍ
ورفاهةٍ ، من غيرِ انقطاع ولا زوال ، وهذا هو التَّمام .

* * *

والضَّيْفُ هناك هُوَ الشهيد ...

يَقُولُ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ !!!
نَحْنُ !!! أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا !!! وَفِي الْآخِرَةِ !!! وَلَكُمْ فِيهَا
مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ !!! وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ !!! لَكُمْ فِيهَا مِنْ
غُفُورٍ !!! رَحِيمٍ !!! ﴾

﴿ نَزْلًا مِنْ غَفْوِرٍ رَحِيمٍ ... ﴾

نُزْلًا مُخْتَلَفَةً الدَّرَجَاتِ وَالْمَقَامَاتِ ...

وَدَرَجَةُ الشَّهِيدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ دُنُوًّا مِنْ كَمَالِ
الرِّضْوَانِ ، وَقُرْبًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ... وَحَسُنَ
أُولَئِكَ رَفِيقًا .

الوسامُ الثالث :

﴿ يُرْزَقُونَ ... ﴾

الرِّزْقُ هُوَ قَوَامُ الْإِنْسَانِ وَمَادَّةُ الْحَيَاةِ ... فِي الْبَدَنِ وَالْحَيَاةِ ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ رُوحِيٍّ وَتَفَاعُلٍ عَقْلِيٍّ ...

وَمِنْ ثَمَّ تَتَأَطَّرُ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي مَقَادِيرِهِ أَنْوَاعِهِ ، وَتَخْضَعُ كُلُّ الْخُضُوعِ لِعَنَاصِرِهِ ،

وَهُوَ مَطْلُوبٌ بِالْكَدِّ وَالْجُهْدِ وَالسَّعْيِ ، فِي كَيْدٍ وَمَشَقَّةٍ ، وَلَيْسَ يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ كُلَّ مَا تَشْتَهِيهِ ، وَلَا يُحَقِّقُ كُلَّ أَمَانِيهِ ، بَلْ قَدْ تَنْقُضِي الْحَيَاةُ كُلَّهَا وَلَا يُبْلَغُ الْمَرْءُ جُزْئِيَّةً بَسِيطَةً مِمَّا يَتَمَنَّاؤُهُ أَوْ يَشْتَهِيهِ مِنَ الرِّزْقِ .

﴿ وَمَا الرِّزْقُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... ﴾

﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ ... ﴾

وهو الذي ﴿ يَنْسُطُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ ... ﴾

وهو : ﴿ الَّذِي يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ... ﴾

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ... ﴾

فإذا ما تأكدت هذه الحقائق ، وثبتت في الذهن وفي النفس من الداخل ، وكذلك التعاطي من الخارج ، كان قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ... ﴾

هُوَ الْقَاعِدَةُ الْأُمُّ لها جميعاً ، ويكون سَعَى الإنسان على الرِّزْقِ مُرتبطاً بالتوكل عليه سبحانه ، فَهُوَ حَسْبُهُ وكافيه ... ، وهذا من مقتضيات الإيمان .

وهذا الرِّزْقُ في الحياة الدنيا إنما يتنزل بِقَدَرِ معلوم ، وفق الضرورات والمقتضيات ...

أما في الآخرة ... في الجنة ... في نعيمها المقيم .. فَهُوَ كما غَيَّرَ عَنْهُ سبحانه :

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ ... ﴾

رِزْقٌ مَفْتُوحٌ ، وعطاءٌ غَيْرُ مَمْنُون .. ، وتدفق من غَيْرِ انقطاع ولا انحباس ، ولا يَخْضَعُ للضرورة والاقتضاء ، بل للاشتهاء ... والتغنى ...

وهنا التمايز والتغاير .. !

إنَّهُ مَوْصُولٌ بغير انتظار ...

وحاضرٌ من غير سَعَى ...

وسَهْلٌ ... هَيِّنْ لِيَنَّ من غير شقاءٍ .. واجتهاد ...

وكثيرٌ ... كثيرٌ ... من غير حدٍّ ولا كميّة ، ولا حيلة له البتّة
بالضرورة ، لأنَّهُ لا ضرورة .. !

* * *

ومن أُولَى من الشَّهيد بهذا الرُّزْق ... من عباد الله الصالحين ،
المتّقين العاملين ؛ ذلك الذى باعَ نَفْسَهُ ابتغاءَ مَرْضَاةِ الله ، وشرى
الحياة الدنيا بالآخرة ، وآثر الباقى على الفانى ، والخالد على الزّائل .

* * *

الوسام الرابع :

﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله .. ﴾

... ويأتى دَوْر الوسام الرابع لا لِيُعَلِّقَ رُمُزاً على صَدْر الشهيد من
غَيْرِ مضمونٍ ولا فاعلية ، بل لِيُغْرِسَ كلمةً طَيِّبةً كشجرة طيبة ،
أصلها ثابتٌ فى أَرْض الجنات وفرعها فى أَعلى عِلِّيَّين ، تُؤْتِى أَكْلها
بإِذْن رَبِّها فى كُلِّ حين .

وأَكْلها ... ثمارها الشَّهِيَّة الطيبة ...

وهذه الثَّمار هى :

الفرحة ... بما آتاهم الله من فضله ...

إنَّها نفس الوسام .

والْفَرَحَةُ بالنَّسَبَةِ إلى الإنسان هى أَقْصى وأَسْمى حالات الرضى
النَّفْسِ عِنْدَه ...

وما بالك عزيزى القارىء إذا كانت هذه الْفَرَحَةُ بَيْن يَدَى الله

تعالى ، وفي جَنَّتِهِ ، وفي رحاب رضوانِهِ ...

فَرَحَةٌ غَامِرَةٌ لَا تَدْعُ جَانِباً مِنْ جَوَانِبِ النَّفْسِ إِلَّا وَتُعْطِيهَا ،
وَلَا جُزْئِيَّةً مِنْ جُزْئِيَّاتِ الْكِيَانِ إِلَّا وَتَغْمِرُهُ ، فَلَا يَتَسَرَّبُ إِلَى الذَّاتِ
وَالْبَدَنِ نَسْمَةٌ حُزْنٍ وَأَسَى ، ...

إذا مَارَزِقَ الْإِنْسَانُ بَرَزُقٍ مِنَ الدُّنْيَا ... مَالاً أَوْ مَتَاعاً ...
أَوْ عَطَاءً ... سواءَ كَانَ حَقّاً مِنْ حَقُوقِهِ ، أَوْ هَبَةً ... أَوْ هَدِيَّةً ، فَرَحَ
بِهَا ، وَكَانَتْ قِمَّةَ سَعَادَتِهِ وَرِضَاهُ ...

هذا التَّوَالِ هو كُلُّ أَرْبَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَغَايَةِ مُنَاهُ .

وَكُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى هَذَا التَّمَطُّ ، لَا يَخْتَلِفُ وَاحِدٌ عَنِ الْآخَرِ .

وَمَا بِأَلْكَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْفَرَحَةُ بِسَبَبِ عَطَاءٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي
الْآخِرَةِ .. ، حَيْثُ الرِّزْقُ - كَمَا قَدَّمْنَا - مِنْ غَيْرِ حَدٍّ مُحْدُودٍ ... ،
لَا فِي النَّوْعِ وَلَا فِي الْكَمِّ .

وهذا العطاء ... مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ... ﴿ فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ ﴾ ؛ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ عِنْدَهُ ، لَا يُنْقَدُ وَلَا يَنْتَهَى ...

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴾

وَأُرَانِي - عَزِيزِي الْقَارِيءُ - أَفْهَمُ الْبَقَاءَ وَعَدَمَ النِّفَادِ مَعْنَى
آخِرَ ، غَيْرَ الْمُتَبَادِرِ إِلَى الدَّهْنِ ...

إن رزق الدُّنيا ، من قُوتٍ ومالٍ وغير ذلك ، مهما كان كثيراً
وفيراً ، يأتي عليه زمانٌ فإذا هُوَ قد انتهى وآل إلى الزوال ..
أما رزق الآخرة فما له من نَفاد .

وهذا مفهومٌ قريبٌ يتداعى إلى الذَّهن العادى البسيط ، في
مفهومه ومألوفه ... ،

أما المفهوم الذى نراه يتخايلُ لنا ، ويلوحُ فى أفق تفكيرنا ،
ويُضئُ فى أعماق عقولنا وحسنا ، فهو الأثر الذى يُخلِّفه العطاء ،
والطابع الذى يتركُّه فى الذات ... ، إنَّه لا يتركُّ أثراً عكسياً
وسلبياً ... بل أثراً ايجابياً على الدوام ...

ولتقريب هذا المفهوم نُعطى المثل التالى :

إذا ماشعَرنا بالجوع أَكَلْنَا ، وزال كُلُّ أثرِ عُضْوَى ونَفْسَى عَنَّا ،
ثمَّ نُعاوِدُ الكَرَّةَ ... ، جُوع وشَبَع ... ثمَّ جُوع وشَبَع ... وهكذا .
أما أثرُ العطاء الأخرى ، فلا إحساسَ مَعَهُ بِالْحِرَمَانِ ،
والتَّقْصَانِ ، أَبَداً ..؟

وهذا هُوَ الأثر الإيجابى ، الدائمُ المُستَمِرُّ ، وهذا أَحَدُ جوانبِ
مَفْهُومِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ... ﴾

ولقد قيل بأن الفضل هُوَ الزيادة

﴿ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾

سُبْحَانَ اللَّهِ!!! زيادة على زيادة على زيادة ..!!

فَلَيْسَ بَعْدَ هَذِهِ التَّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَحٌ وَلَا أَزْكَى وَلَا أَطْيَبٌ ،
وَلَا أَدْوَمٌ ، وَلَيْسَ بَعْدَ تَكْرَانِهَا إِلَّا الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

* * *

الوسامُ الخامس :

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ .. ﴾

وقبل أن نَسْتَرْسل في الحديث عن أوسمة الشهيد العَشر ، خصوصاً قَبْلَ الخَوْضِ في الكلام عن الوسام الخامس ، نريد أن نَرْتَدَّ على أعقابنا قليلاً إلى الوراء ... إلى الوسام الأول ، إلى حياة الشهيد ، التي هي مدار الحديث عن الأوسمة الثلاثة التي أعقبتَه ، فنقول فيها ، زيادة على ما حُدَّ

[(١) مِمَّا لَارِيبُ فيه لدى المؤمنين كافة أن الأزواج لا تفنى ، وأنها بعد الموت تنتقل إلى بارئها ، وتبقى أرواح الشهداء حيَّةً سواء بسواء ، فَهَلْ معنى هذا ، أو مآل هذه الحيرة ، أن تنتهي إلى الحكم بأنَّ الشهداء ... والأموات .. يَسْتَوُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ في نوع الحياة ؟

ولو كان الأمر كذلك فما هي الثمرة مِمَّا أخبرنا عنه الله تعالى عن

(١) الشهيد في الإسلام (الشيخ حسن خالد) مفتي الجمهورية اللبنانية .

شهداء المعركة بأنهم أحياء عند رَبِّهِمْ يَسْتَقْبِلُونَ رِزْقَهُ الذى يسوقُهُ
لَهُمْ من فَضْلِهِ ، وَيُتَابِعُونَ واقع إخوانهم المؤمنين المجاهدين باستبشار ؟
قال « الفخر الرازى » تعليقا على هذه الآية :

- اعْلَمْ أن ظاهر الآية يدل على لَوْن هؤلاء المقتولين أحياء ، فإِذَا
أن يكون المراد منه حقيقة أو مجازاً .

فإن كان المراد منه هُوَ حقيقة ، فإِذَا أن يكون المراد أَنَّهُمْ
سيصيرون فى الآخرة أحياء ، أو المراد أَنَّهُمْ أحياء فى حال .
وبتقدير أن يكون هذا هُوَ المراد ، فإِذَا أن يكون المراد إثبات
الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجسمانية .

إن تفسير الآية بأنهم سيصيرون فى الآخرة أحياء ، قد ذَهَبَ إِلَيْهِ
جماعة من مُتَكَلِّمِي « المعتزلة » منهم « أبو القاسم الكعْبِي » ، قال :
وذلك لأن المنافقين الذين حكى الله عنهم ما حكى ، كانوا
يقولون لأصحاب « محمد » ﷺ :

يَعْرِضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْقَتْلِ ، فَيُقْتَلُونَ وَيَخْسِرُونَ الحياة ،
ولا يَصِلُونَ إِلَى خَيْر .

وإِنَّمَا كَانُوا يَقُولُونَ ذلك لجحدهم البعث والمعاد ، فكذَّبَهُمُ الله
تعالى ، وَبَيَّنَ بهذه الآية أَنَّهُمْ يُعْطَوْنَ لِرِزْقُون ، وتصل إليهم أنواع
الْفَرَجِ والسرور والاستبشار .

واعلم أن هذا القول عندنا باطل ، ويدل عليه وجوه :

الحجة الأولى :

أن قوله : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ ... ﴾ ظاهره يدل على كونهم أحياء حال نزول هذه الآية ، مُحْمَلُهُ على أنهم سَيَصِيرُونَ أحياء بعد ذلك ، عُدُولٌ عن الظاهر .

الحجة الثانية :

إنه لا شك أن جانب الرحمة والفضل والإحسان أرجح من جانب العذاب والعقوبة .

ثم إنه تعالى ذكر في أهل العذاب أنه أحياءهم قبل يوم القيامة لأجل التعذيب فإنه تعالى قال :

﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَاراً ﴾ ^(١)

والفاء للتعقيب ، والتعذيب مشروط بالحياة .

وأيضاً ، قال :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ^(٢)

وإذا جعل الله أهل العذاب أحياء قبل قيام القيامة لأجل التعذيب ،

(١) سورة نوح : الآية - ٢٤ .

(٢) سورة غافر : الآية - ٤٥ .

فَلَا نَ يَجْعَلُ أَهْلَ الثَّوَابِ أَحْيَاءَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَجْلِ الْإِحْسَانِ كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَى .

الحجة الثالثة :

أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنَّهُ سَيَجْعَلُهُمْ أَحْيَاءَ عِنْدَ الْبَعْثِ فِي الْجَنَّةِ لَمَا قَالَ لِلرُّسُولِ « عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ... ﴾ ، مع عِلْمِهِ بِأَنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ .

أَمَّا إِذَا حَمَلْنَاهُ عَلَى ثَوَابِ الْقَبْرِ ، حَسَنَ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ .. ﴾ لِأَنَّهُ « عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » لَعَلَّ مَا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ تَعَالَى يَشْرَفُ الْمُطِيعِينَ وَالْمُخْلِصِينَ بِهَذَا التَّشْرِيفِ ، وَهُوَ أَنَّهُ يُحْيِيهِمْ قَبْلَ قِيَامِ الْقِيَامَةِ لِأَجْلِ إِيْصَالِ الثَّوَابِ إِلَيْهِمْ .

فَإِنْ قِيلَ إِنَّهُ « عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِأَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ عِنْدَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّهُ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَجَازَ أَنْ يُبَشِّرَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ أَحْيَاءَ ، وَيَصِلُونَ إِلَى الثَّوَابِ وَالسَّرُورِ ، قُلْنَا : قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ .. ﴾ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْمَوْتَ لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا .. ﴾ فَالَّذِي يُزِيلُ هَذَا الْحُسْبَانَ هُوَ كَوْنُهُمْ أَحْيَاءَ فِي حَالٍ .. ، لِأَنَّهُ لَا حُسْبَانَ هُنَاكَ فِي صَيُورَتِهِمْ أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

الحُجَّةُ الرَّابِعَةُ :

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ .. ﴾ ، والقَوْمُ الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونُوا فِي الدُّنْيَا ، فَاسْتَبْشَارُهُمْ بِمَنْ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ ... ، وَالِاسْتَبْشَارُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مَعَ الْحَيَاةِ ، فَذَلِكَ هَذَا عَلَى كَوْنِهِمْ أَحْيَاءَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

الحُجَّةُ الْخَامِسَةُ :

مَا رُوي عَنْ « ابْنِ عَبَّاسٍ » - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي صِفَةِ الشُّهَدَاءِ :

[إِنْ أَرْوَاهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خُضِرَ ، وَأَنْهَارٍ تُرِدُّ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا ، وَتَسْرَحُ حَيْثُ شَاءَتْ ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَلَمَّا رَأَوْا طَيْبَ مَسْكَنِهِمْ وَمَطْعَمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ قَالُوا : يَا لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ التَّعِيمِ ، وَمَا صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَا ، كَيْ يَرْغَبُوا فِي الْجِهَادِ ؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا مُخْبِرٌ عَنْكُمْ وَمُبَلِّغٌ إِخْوَانَكُمْ ، فَفَرِّحُوا بِذَلِكَ وَاسْتَبْشِرُوا ،]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ :

وَسُئِلَ « ابْنُ مَسْعُودٍ » - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَالَ :

[سَأَلْنَا عَنْهَا فَقِيلَ لَنَا : إِنَّ الشَّهَدَاءَ عَلَى نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبُورِ
خَضْرَاءَ] وَفِي رَوَايَةٍ : [فِي رَوْضَةِ خَضْرَاءَ]

وَعَنْ « جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ » - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ :

[أَلَا أُبَشِّرُكَ أَنَّ أَبَاكَ حَيْثُ أُصِيبُ بِأَحَدِ أَخْيَاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ :
مَا تُرِيدُ يَا « عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو » أَفَعَلْتُ بِكَ ؟ فَقَالَ : يَا رَبُّ أَحِبُّ
أَنْ تُرَدِّدَنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأَقْتُلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى ...]

وَالرَّوَايَاتُ فِي هَذَا الْبَابِ كَأَنَّهَا بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ
إِنْكَارُهَا ؟؟

* * *

وَيَقُولُ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ « مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا » - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

(ثُمَّ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَيَاةُ ^(١) حَيَاةً خَاصَّةً غَيْرَ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا
جَمِيعُ الْمَلِكِينَ فِي جَمِيعِ الْمَوْتَى مِنْ بَقَاءِ أَرْوَاحِهِمْ بَعْدَ مَفَارِقَةِ أَشْبَاحِهِمْ ،
وَلِذَلِكَ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ حَيَاةَ الشَّهَدَاءِ تَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَإِنْ فَنِيَتْ أَوْ احْتَرَقَتْ أَوْ أَكَلَتْهَا السَّبَاعُ وَالْحَيَاتَانِ .

(١) حَيَاةُ الشَّهَدَاءِ .

وقالوا إنها حياة لا نعرفها ، ونحن نقول مثلهم إننا لا نعرفها ،
ونزيد أننا لا نثبت ما لا نعرف .

وقال بعضهم إنها حياة يجعل الله بها الروح في جسم آخر يتمتع به
ويرزق ، ورووا في هذا روايات منها الحديث الذى أشار إليه المفسر
« الجلال » وهُوَ أن أرواح الشهداء عند الله فى حواصل طيورٍ تُحَضَّرُ
تَسْرُحُ فى الجنة .

وقيل إنها حياة الذِّكْر الحسن والثناء بعد الموت ، وقيل إن المراد
بالموت والحياة : الضلال والهُدى . رَوَى هذا عن « الْأَصَمِّ » ،
أى : لا تقولوا إن باذل رُوحه فى سبيل الله ضالٌّ بل هو مُهْتَدٍ ؛ وقيل
إنها حياة روحانية مَحْضَةٌ ، وقيل إن المراد أنهم سَيَحْيُونَ فى الآخرة
وإن الموت لَيْسَ عَدَمًا كما يَزْعُم بعض المشركين ؛ فالآية عند هؤلاء
على حَدِّ : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ أى
مصيرهم إلى ذلك .

والمعتمد عند الأستاذ الإمام^(١) فى هذه الحياة أنها حياة غيبية تمتاز
بها أرواح الشهداء على سائر أرواح الناس ، بها يرزقون ينعمون ،
ولكننا لا نَعْرِفُ حقيقتها ولا حقيقة الرزق الذى يكون بها

(١) محمد عبده .

ولا تَبَحْثُ عن ذلك لأنه من عالم الغيب الذى تؤمن به وتُفَوِّضُ الأمر فيه إلى الله تعالى . (أ - هـ) .

ويقول « سيد قطب » فى تفسيره « فى ظلال القرآن » :

ومع أننا نَحْنُ فى هذه الفانية لا نعرف نَوْعَ الحياة التى يحياها الشهداء إلا ما يُلغِنَا فى وَصْفِهَا فى الأحاديث الصَّحاح ، إلا إن هذا النص الصادق من العليم الخبير كَفِيلٌ وَخَدُهُ بأن يَغَيِّرَ مفاهيمنا للموت والحياة وما بينهما من انفصالٍ والثَّام ، وكفيل وَخَدُهُ بأن يَعْلَمَنَا بأن الأمور فى حقيقتها لَيْسَتْ كما هى فى ظواهرها التى تُذَرِّكُهَا ، وإننا حين نُنشِئُ مفاهيمنا للحقائق المطلقة بالاستناد إلى الظواهر التى تُذَرِّكُهَا لا تَنْتَهِي إلى إدراكٍ حقيقى لها ، وإنه أَوَّلَى لنا أن نَنْظُرَ البيان فى شأنها مِمَّنْ يملك البيان ، سبحانه وتعالى .

فهؤلاء ناس منا ، يُقْتَلُونَ ، وتُفَارِقُهُم الحياة التى نعرف ظواهرها ويفارقون الحياة كما تَبْدُو لنا فى ظاهرها ، ولكن لأنهم « قُتِلُوا فى سبيل الله » وتَجَرَّدُوا له من كُلِّ الْأَغْرَاضِ والأغراض الجزئية الصغيرة ، وَاتَّصَلَتْ أَرْوَاحُهُمْ بالله فجادوا بأرواحهم فى سبيله ... لأنهم قُتِلُوا كذلك ، فإن الله سبحانه يخبرنا فى الخبر الصادق أنهم ليسوا أمواتاً ، وَبَيْنَا أَن نَحْسِبَهُمْ .. ، ويؤكد لنا أنهم أحياء عنده ، وأنهم يُرْزَقُونَ ...

إنَّه تعديـل كامل لمفهـوم المـوت متى كان في سبيل الله ، وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم ، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم ، إفساحٌ لـجـال الحـياة ومشاعرها وصورها بحيث تتجاوز نطاق هذه العاجلة كما تتجاوز مظاهر الحياة الزائلة ، وحيث تستقر في مجالٍ فسيح عريض لا تعترضه الحواجز التي تقوم في أذهاننا وتصوراتنا عن هذه الثقلة من صورة إلى صورة ، ومن حياة إلى حياة (أ . ه) .

ويقول الإمام « بديع الزمان النورسي » - رحمه الله - :

(إن للشهداء طبقة من الحياة فوق الحياة أهل القبور بنص القرآن ، نعم .. إن الله تعالى يُحسن إلى الشهداء من كمال كرمه في عالم البرزخ بحياة تُشبه الحياة الدنيا ، ولكنها حياة بغير كدر ولا ألم ، ذلك لأنهم ضحوا بحياتهم الدنيا في سبيل الحق ، وإنهم لا يعلمون أنهم ماتوا ولكن يعلمون أنهم ارتحلوا إلى عالم أحسن ، فيتغنمون بكمال السعادة ولا يشعرون بما في الموت من ألم الفراق .. وإن أهل القبور وإن كانت أرواحهم باقية إلا أنهم يعلمون أنهم ماتوا ، فلا يصل ما يذوقون من اللذة والسعادة في عالم البرزخ إلى درجة لذة الشهداء ؛ فكما أن شخصين يَدْخُلان في الرؤيا قصراً جميلاً كالجنة فيعلم أحدهما أنه في الرؤيا فما يستفيده من الذوق واللذة ناقص جداً ، إذ يتفكر قائلاً : إن استيقظت تزول هذه اللذة ، والآخر يعلم أنه في الرؤيا

فيصير مُظهِراً لسعادةٍ حقيقيةٍ بلذّةٍ حقيقيةٍ كذلك فإن استفادة
الأموات وتنعم الشهداء في عالم البرزخ في الحياة البرزخية بينهما فرق
كذلك .

ومن الثابت القطعي بما لاحد له من وقائع وروايات أن الشهداء
أحياء بهذا الوجه من الحياة ويعلمون أنفسهم أحياء ، حتى إن سيّد
الشهداء « حَمزة » - رضى الله عنه - حمى اللاجئين إليه وقضى
أموالهم الدنيوية بوقائع مُتكررة ... ، فقد ثورت طبقة الحياة هذه
وأثبتت بكثيرٍ من أمثال هذه الوقائع .

* * *

نعم ... إن الموت تبديل مكان وإطلاق روح وتسريح عن
الوظيفة ، وليس إعداماً وعدماً وفناءً ، وإن دلائل كثيرة مثل تمثّل
أرواح الأولياء وتظاهرها لأهل الكشف وتناسب سائر أهل القبور
وإخبارهم لنا أخباراً مطابقةً للواقع ، يقظةً ومناماً ، بوقائع لا حدّ لها
تنور طبقة الحياة هذه وتثبتها . (أ . هـ)

عزيزى القارىء :

لقد قطعنا مواصلة الحديث عن الأوسمة ، بهذه التُّقُول الكريمة الطيبة عن علمائنا المتقدِّمين والمتأخرين حَوْل « حياة الشهيد » بسبب أنَّ مدار ويمُخور الأوسمة السابقة الثلاث ، هى « حياة الشهيد » !!! ، الوسام الأول ...

فكان من المناسبِ - جداً - أَنْ لا تُنتقل إلى البحث والتعليق عن بقية الأوسمة قبل إرساء معنى « الحياة » ... - حياة الشهيد - على أساس أقرب مايكون إلى الذهن البشرى الإنسانى ، والله أعلم .

* * *

ونعودُ إلى الوسام الخامس ؛

فمن الملاحظ أنَّ « الاستبشار » يتردَّد ويتكرَّر مرَّتين ، مرَّةً فى مطلع الحديث عن الوسام الخامس ، ومرَّةً أُخرى فى الحديث عن الوسام الثامن ، مع ما يترتَّب على كليهما من معانٍ وصوِّر .

هؤلاء الشهداء الذين أُنعمَ اللهُ عليهم بنعمة الشهادة فى سبيله ، والذين تخلصوا من كُلِّ رباطٍ مادى دنيوى يُشدُّهم إلى واقع المعاناة

السابقة ، بكُلِّ معطياتها وصُورِها ، وأَقْبَلُوا على حياةٍ جديدةٍ كل
ما فيها نعيم ... يترادف بعضُهُ إثرَ بعض ، ويتلاحق دون إنصالي ...
لأنَّ الزَّمنَ فيها معدوم ، والخلود هو الحق ...

هؤلاء يَسْتَبْشِرُونَ !!!

لذواتِهِم ولِلَّذِينَ لم يَلْحَقُوا بِهِم من خَلْفِهِم ...

لذواتِهِم حين مهرُوا صلَّكُ البيعة لله تعالى بالدمِ الزكِيِّ النقي ،
وصَدَّقُوا ما عاهدوا الله عَلَيْهِ ، واستَرَخَصُوا الأرواح والأَنْفُسَ إِزاءَ
ما هو أَعْلَى وأَعْلَى ...

فإذا البُشرى على الشفاه بسَمَةِ رضى ، وفي العُيُونُ نَظْرَةٌ
أطمئنان ، وفي القلوبُ صِدْقُ يقين ...

وإذا الأرواح في حواصل طيِّرٍ حُضِرَ ، رِيَاءَةَ اللُّونِ ، نَدِيَّةَ
الصَّوْتِ . تَغْدُو في الجنانِ مُسَبِّحَةً شاكِرةً ، تُرْتَعُ هانئة آمنة
مُطْمَئِنَّة ... هنا وهناك ، في كُلِّ مكانٍ ... ، ما ترتفعُ عن نعيم حتى
تَحْطَ على آخر ، مرفرفة مَزْهُوَّة ، ثم تأوى ... ليس من كَلَلٍ ولا مَلَلٍ
ولا تَعَبٍ ... إلى قناديل معلقة بالعَرْشِ ... لتظفَرَ بغاية الغايات ،
وحَسَنَةَ الآخرة كُلِّها .. ، لتظفَرَ ببارقةٍ من نُورِ العَرْشِ ...

* * *

كُلِّ ذلك - عزيزى القارىء - فى شريط كامل وعرض مُستمر ،
ليس له مقياس زمنى ، بل مقياسه النعيم الأبدى ، تُستخوذ عليه
البشرى ، وتلقه بالبشر والحُجُور ...

ثم يظرون ...

فإذا هم يَستَبشرون بالَّذين لم يلحقوا بِهِم من خَلْفِهِم ، لأنهم
يَظنون ، ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ... ﴾

بالَّذين يَنتَظرون الدُّورَ على مسرح الحياة ...

وأى دُور ؟؟

إنه دُور البطولة الحقة ، التى تتضاءل أمامها كُلُّ
البَطُولات .. !!

بطولات الحياة الدُّنيا !!!؟

تلك البطولات التى يُقال - وهماً وخداعاً - عن أصحابها أنهم
خالدون !!! وأين الخلود ؟؟

هل هُوَ فى التاريخ !!!؟

والتاريخ كُلُّه مَرَحَلَةٌ زمنية سوف يَطوِيها يوم لامرَدَ له من الله ،
يوم القيامة الذى يَقلب كُلَّ المقاييس ، والمفاهيم والقواعد
والأسُس ، ولا يَبقى إلا الميزان بالقسط ، تُوزَنُ الأعمال والأقوال
والتصرُّفات .

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، ثم إلى خلود حق ، في الجنة أو في النار ...
 فحينئذ لمن آمن وعمل صالحاً ووصل ذنياه باخريه ،
 وتغسلاً لمن كفروا جحد وتنكب عن الصراط المستقيم ... واستقر
 في الجحيم .

* * *

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ... ﴾
 يروؤنهم من الآخرة ... بالبصر وبالبصيرة ...
 . يتحفزون وَيَتَهَيَّأُونَ وَيَسْتَعِلُّونَ ؛ ثم يَقْتَرِبُونَ مِنْ مِصَافِّ الَّذِينَ
 سَيُمنَحُونَ الْأَوْسَمَةَ الْعَشْرَةَ ، ويتبعون مركز الصدارة .
 وهؤلاء ... على صنفين :
 صنف تخطى حاجز الخوف والتردد ، والحزن على ما هو فيه من
 مادية دنيوية ملموسة ، يكاد يُفارقها ... ، فكسر هذا الوهم في قفزة
 واحدة ،

وصنف راجعته نفسه ، ووسوست له .. ، فتردد قليلاً لكنه في
 النهاية تغلب عليها ... حين تمثلت له رائحة الجنة ، وخالط طيها
 وعبيها ... أنفه ... وقلبه ... وروحه .

الأول مثل « النَّضْر » - رضى الله عنه - حين قال يوم « أُحُد » :
[وَرَبِّ « النَّضْر » أَنى لَأَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُد] .

والثانى مثل « ابن رُوَاحَة » - رضى الله عنه - يوم « مُوتَة » ،
كما حَدَّثَنَا بذلك الصادق الأمين « صَلَوَاتُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ » . لقد أَتَيْنَا
« عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَام » بِإِقْبَالِ « زَيْد » و« جَعْفَر » ، وتردد
« عبدالله بن رُوَاحَة » .

الوسام السادس :

﴿ الْأَخَوْفُ عَلَيْهِمْ ... ﴾

والخوف حالة نفسية قاهرة ... ضاغطة .. ، تُربكُ صاحبها وتقهرة ، وتستشرى في كيانهِ كُلِّه ، النفسى والبدنى ...

قد يكون منشأ الخوف من معلوم ظاهر ، يوشكُ أن يسلبه كُلُّ شئ ، وإن أعلى ما عند الإنسان نفسه ...

وقد يكون من مجهولٍ خفى ، وهنا يكون التردد عن الإقدام !!!
وهذا مبعثه وسوسة الشيطان ، يُغرى النفس الإنسانية بالتكذيب والعصيان ، ويحاول أن يُزعزع في أعماقها أركان الإيمان .

ثم تطرأ على النفس حالة من العَشْيَةِ والغثيان ، وتراءى لها الأوهام والأحلام ، كأنها الحقائق ، تشدّها إلى المادية الملموسة ، فتأبى المفارقة ... وتُنسى كُلَّ ما وَعَدَ بِهِ الدَّيَّان ، من رَوْحٍ وَرَيْحان ... ولذة عَيْشٍ في الجنان .

* * *

أما الذين سَبَقَتْ لهم الحُسنى ... فقهروا الشَّيْطان ، وهزموه في ذواتهم ، فإنَّهم بعد أن نالوا أوسمة الحياة ... والمقامة ... والرِّزق ... والفرحة بِفضل الله وعطائه الكريم ...

فهؤلاء قد واصلوا اطمئنان الدُّنيا بالآخرة من غير لحظة تردُّد تخدعهم ، أو هُنيئة شيطان وسوس لهم فتَحْجزهم وتُغرِّق مسيرتهم الرِّبائية على دَرَج الشهادة والصِّدق ...

لقد كفَّ « شهودُهم » دُنياهم ، وَلحظة الفراق ، وآخرتهم ... ، فَرَفَعُوا أصواتهم بالنِّداء :

ألا خَوْفَ عَلَيْكُمْ يا مَعْشَرَ أبناء الحياة - الدُّنيا من لحظة الفراق ... ، مِنَ الصِّدْقِ مع الله تعالى ، من الشهادة في سبيل الله ... ، فما عِنْدَ الله خَيْرٌ ... وأَبْقَى .

إِنَّ نعيم الدُّنيا قليلٌ زهيد ، محدود القيمة والأثر ، وما عِنْدَ الله خَيْرٌ ، وهو أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ .

وأيضاً فإن نعيم الدُّنيا لحظات تَمُتُّ ثم تَزُول ، تُصْبِحُ ذكريات ، تُحْكِمُها دَوْرَةُ الزمن ، وتعاقب اللَّيْل والنَّهار ... ، لكن ما عِنْدَ الله أَبْقَى ... وأدوم ...

— يا إِخْوَتَنَا وَأَحِبَّاءَنَا ... لقد عَايَنَّا ذَلِكَ بأنْفُسِنَا ...

نَحْنُ لَمْ نُمُتْ ... إلا في التَّصَوُّرِ الْإِنْسَانِي السَّطَحِيِّ الْمَأْلُوفِ ، بل
نَحْنُ أَحْيَاءُ ، لكن لا تَشْعُرُونَ بنا ...

نَحْنُ لَسْنَا فِي ضِيَاةٍ مُنْعَمَةٍ عَابِرَةٍ ، بل نَحْنُ فِي مَقَامِ كَرِيمٍ عِنْدَ
رَبِّنَا سَبْحَانَهُ .

وَنَحْنُ نُرْزَقُ الرِّزْقَ الْحَسَنَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ... ،
إِنْ كُلُّ نَعِيمِ الدُّنْيَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ لَا يُوْزَى شَيْئاً أَمَامَ الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ .
بُشْرَاكُمْ بِإِيَّهَا الْإِخْوَةُ ...

بُشْرَاكُمْ بِأَوْسَمَةِ لَيْسَتْ رُمُوراً بل حَقَائِقُ ، تَفِيضُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ .
بُشْرَاكُمْ بِأَوْسَمَةِ لَا تُعَلَّقُ عَلَى الصُّدُورِ !!! أَوْ التَّوَابِيْتِ !!! ،
بِمَنْحِكُمْ إِيَّاهَا الْقَائِدَ أَوْ الْحَاكِمَ ، أَوْ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ !!! ، وَلَكِنْ فَيُوضَأُ
مِنَ النَّعِيمِ تَسْرِي فِي كَيَانِكُمْ كُلَّهُ ...

وَمَهْمَا ارْتَفَعْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِـ « الْوَسَامِ » فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا
مَنْزِلَةً أَعَدَّهَا لَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى ... مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ... فِي
الْآخِرَةِ .

* * *

هَذَا مَا وَعَدَكمَ اللهُ سُبْحَانَهُ ...

وَصَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ .

وَمَنْ أَوْفَى بَعْثِهِ مِنَ اللهِ !!!

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ... ﴾

* * *

الوسام السابع :

﴿ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ ... ﴾

إنَّ فَقْدانَ الشَّيْءِ الَّذِي يَمْلِكُهُ الْإِنْسَانُ ، أَوْ خَيِّتُهُ أَمَلُهُ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ مُدْعَاةٌ حُزْنِهِ وَسَخَطُهُ ،

وَكَلِمَا كَانَ هَذَا الشَّيْءُ عَزِيزاً ، أَوْ كَانَتْ خَيِّتُهُ الْأَمَلُ كَبِيرَةً ، كَانَ الْحُزْنُ أَعَمَّ وَأَوْسَعَ وَأَعَمَّقُ ...

وَلَكِنْ مَنْ يَمْلِكُ الذَّاتَ الْإِنْسَانِيَّةَ ؟ الْمَرْءُ نَفْسُهُ ... أَمْ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ ، الْمُؤَجَّد ... الْمُخَيِّ الْمُمَيَّت ... !!!

لَوْ أَذْرَكَ الْإِنْسَانُ - مُطْلَقاً - الْإِنْسَانَ - هَذِهِ الْحَقِيقَةُ لَمَّا آسَى ، وَلَمَّا حَزَنَ ، وَلَمَّا تَرَدَّدَ خَوْفاً وَجَزَعاً عَنْ بَذْلِ الرُّوحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لِإِقَامَةِ كَلِمَتِهِ وَسَبِيلِهِ فِي الْخَلْقِ وَفِي الْوُجُودِ .

وَقَدْ تَكُونُ عِبَارَةُ « بَذْلِ الرُّوحِ » سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ الْمُنَازَعَةِ فِي مَوْضُوعِ مِلْكِيَّةِ الذَّاتِ ، فَيُظَنُّ الْبَعْضُ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ حَقّاً !! ، وَهَذَا وَهُمْ لَا حَقِيقَةَ ، لِأَنَّ الْمِلْكِيَّةَ هُنَا مِلْكِيَّةٌ عَارِضَةٌ ، مِلْكِيَّةٌ آتِيَةٌ ، مِلْكِيَّةٌ الْمَسْئُولِيَّةُ فِي الضَّبْطِ وَالتَّقْوِيمِ وَالْهُدَايَةِ ؛

﴿ ونفس وما سواها قال لهما فجزوا وتقواها ، قد أفلح من
زكاها ۞ وقد خاب من دساها ۞ ﴾

وأيضاً ...

فإتينا لا نملك لأنفسنا .. لا موتاً ولا حياة ... ولا نُشوراً ... !

* * *

إذا ...

يَنعُدم موضوعُ الحُزن ، وَيَزُول ... ، وَيَفقد أسبابه وموجباته
ردواعيه ، ولعلنى - عزيزى القارىء - أَسْتَعِيد مَعَ « عبد الله
بن رُواحة » - رضى الله عنه - قَوْلُهُ وهو فى معمعة المعركة ،
يُخاطِبُ نَفْسَهُ ، وَيَذَرُ عنها وسوسة الشَّيْطان بإِثَار الحياة الدُّنيا على
الشهادة فى سبيل الله :

- [يانِّفسُ إلّا تُقتلِ تَمُوتى ...]

فَادْرِكْ مَعَهُ صِبْحةَ المعادلة وسلامة القضية .

لقد كَسَرَ - رضى الله عنه - حاجز الخوف ، وَتَخَطَّى سَدَّ
الحُزن ، وَأَسْلَمَ وَجْهَهُ لله راضياً مرضياً .

وليس فى موضوع الشهادة فَقْدانٌ حتى يكون هُناك حُزن ...

﴿ ولا هُم يَحْزَنون ﴾

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، ثم إلى خلود حق ، في الجنة أو في النار ...
 فهنيئاً لمن آمن وعمل صالحاً ووصل ذنياه باخريه ،
 وتغسلاً لمن كفر وأجحد وتنكب عن الصراط المستقيم ... واستقر
 في الجحيم .

* * *

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ... ﴾
 يرؤنهم من الآخرة ... بالبصر وبالبصيرة ...
 يتحفظون ويتهيئون ويستعملون ؛ ثم يقتربون من مصاف الذين
 سيمنحون الأوسمة العشرة ، ويتبعون مركز الصدارة .
 وهؤلاء ... على صنفين :

صنف تخطى حاجز الخوف والتردد ، والحزن على ما هو فيه من
 مادية دنيوية ملموسة ، يكاد يفارقها ... ، فكسر هذا الوهم في قفزة
 واحدة ،

وصنف راجعته نفسه ، ووسوست له .. ، فتردد قليلاً لكنه في
 النهاية تغلب عليها ... حين تمثلت له رائحة الجنة ، وخالط طيها
 وعيها ... أنفه ... وقلبه ... وروحه .

الأول مثل « النَّضْر » - رضى الله عنه - حين قال يوم « أُحُد » :
[وَرَبِّ « النَّضْر » أَنى لَأَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُد] .

والثانى مثل « ابن رُوَاحَة » - رضى الله عنه - يوم « مُؤْتَة » ،
كما حَدَّثَنَا بِذَلِكَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ « صَلَوَاتُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ » . لَقَدْ أَتَيْنَا
« عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَام » بِإِقْبَالِ « زَيْد » و« جَعْفَر » ، وَتَرَدَدَ
« عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَاحَة » .

الوسام السادس :

﴿ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ﴾

والخوف حالة نفسية قاهرة ... ضاغطة .. ، تُربكُ صاحبها وتقهّره ، وتستشرى في كيانه كُله ، النفسى والبدنى ...

قد يكون منشأ الخوف من معلوم ظاهر ، يوشك أن يسلبه كُلُّ شيء ، وإن أعلى ما عند الإنسان نفسه ...

وقد يكون من مجهول خفي ، وهنا يكون التردد عن الإقدام !!! وهذا مبعثه وسوسة الشيطان ، يُغرى النفس الإنسانية بالتكذيب والعصيان ، ويحاول أن يُزعزع في أعماقها أركان الإيمان .

ثم تطرأ على النفس حالة من العَشْيَةِ والغثيان ، وتترأى لها الأوهام والأخلام ، كأنها الحقائق ، تشدها إلى المادية الملموسة ، فتأبى المفارقة ... وتُنسى كُلَّ ما وَعَدَ بِهِ الدِّيان ، من رَوْحٍ وَرِيحان ... ولذة عَيْشٍ في الجنان .

* * *

أما الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحُسْنَى ... فَفَقَهُرُوا الشَّيْطَانَ ، وَهَزَمُوهُ فِي ذَوَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ نَالُوا أَوْسَمَةَ الْحَيَاةِ ... وَالْمَقَامَةِ ... وَالرِّزْقِ ... وَالْفَرَحَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَعَطَائِهِ الْكَرِيمِ ...

فَهَؤُلَاءِ قَدْ وَاصَلُوا اطْمِئْنَانَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ مِنْ غَيْرِ لَحْظَةٍ تَرُدُّ تَخَدُّعَهُمْ ، أَوْ هُتَيْهَةَ شَيْطَانٍ وَسْوسَ لَهُمْ فَتَحْجَزَهُمْ وَتُعْرِقِلَ مَسِيرَتَهُمْ الرِّبَانِيَّةَ عَلَى دَرْبِ الشَّهَادَةِ وَالصِّدْقِ ...

لَقَدْ كَفَّ « شُهُودُهُمْ » دُنْيَاهُمْ ، وَلَحْظَةُ الْفِرَاقِ ، وَآخِرَتِهِمْ ... ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالنَّدَاءِ :

أَلَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ يَا مَعْشَرَ أُنْبَاءِ الْحَيَاةِ - الدُّنْيَا مِنْ لَحْظَةِ الْفِرَاقِ ... ، مِنْ الصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ، مِنَ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ... وَأَبْقَى .

إِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ زَهِيدٌ ، مَحْدُودُ الْقِيَمَةِ وَالْأَثَرِ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ، وَهُوَ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ .

وَأَيْضاً فَإِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَحْظَاتٌ تَمْتَحُجُّ ثُمَّ تَزُولُ ، تُصْبِحُ ذَكْرِيَّاتٍ ، تُحْكِمُهَا دَوْرَةُ الزَّمَنِ ، وَتَعَاقِبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ... ، لَكِنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ أَبْقَى ... وَأَدْوَمُ ...

- يَا إِخْوَتَنَا وَأَحِبَّاءَنَا ... لَقَدْ عَايَنَّا ذَلِكَ بِأَنْفُسِنَا ...

نَحْنُ لَمْ نَمُتْ ... إِلَّا فِي التَّصَوُّرِ الْإِنْسَانِي السُّطْحِيِّ الْمَأْلُوفِ ، بَلْ
نَحْنُ أَحْيَاءُ ، لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ بِنَا ...

نَحْنُ لَسْنَا فِي ضِيَاغَةٍ مُنْعَمَةٍ عَابِرَةٍ ، بَلْ نَحْنُ فِي مَقَامِ كَرِيمٍ عِنْدَ
رَبِّنَا سَبْحَانَهُ .

وَنَحْنُ نُرْزَقُ الرُّزْقَ الْحَسَنَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ... ،
إِنْ كُلُّ نَعِيمِ الدُّنْيَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَهْوٌ لَا يُوْزَايَ شَيْئاً أَمَامَ الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ .

بُشْرَاكُمْ بِإِيَّهَا الْإِخْوَةُ ...
بُشْرَاكُمْ بِأَوْسَمَةِ لَيْسَتْ رُمُوراً بَلْ حَقَائِقُ ، تَفِيضُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ .
بُشْرَاكُمْ بِأَوْسَمَةِ لَا تُعْلَقُ عَلَى الصُّدُورِ !!! أَوْ التَّوَابِيتِ !!! ،
يَمْنَحُكُمْ إِيَّاهَا الْقَائِدُ أَوْ الْحَاكِمُ ، أَوْ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ !!! ، وَلَكِنْ فُيُوضاً
مِنَ النَّعِيمِ تَسْرِي فِي كَيَانِكُمْ كُلَّهُ ...

وَمَهْمَا ارْتَفَعْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِـ « الْوَسَامِ » فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا
مَنْزِلَةً أَعَدَّهَا لَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى ... مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ... فِي
الْآخِرَةِ .

* * *

هَذَا مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ...

وَصَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ .

وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ !!!

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ... ﴾

* * *

الوسام السابع :

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ... ﴾

إنَّ فَقْدَانَ الشَّيْءِ الَّذِي يَمْلِكُهُ الْإِنْسَانُ ، أَوْ خَبِيَّةُ أَمَلِهِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ مُدْعَاةٌ حُزْنِهِ وَسَخَطُهُ ،

وَكَلِمَا كَانَ هَذَا الشَّيْءُ عَزِيزاً ، أَوْ كَانَتْ خَبِيَّةُ الْأَمَلِ كَبِيرَةً ، كَانَ الْحُزْنُ أَعَمَّ وَأَوْسَعَ وَأَعَمَّقُ ...

وَلَكِنْ مَنْ يَمْلِكُ الذَّاتَ الْإِنْسَانِيَّةَ ؟ الْمَرْءُ نَفْسُهُ ... أَمْ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ ، الْمُؤَجَّد ... الْمُحْيِي الْمَمِيت ... !!!

لَوْ أَذْرَكَ الْإِنْسَانُ - مُطْلَقاً - الْإِنْسَانَ - هَذِهِ الْحَقِيقَةُ لَمَّا آسَى ، وَلَمَّا حَزَنَ ، وَلَمَّا تَرَدَّدَ خَوْفاً وَجَزَعاً عَنْ بَذْلِ الرُّوحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لِإِقَامَةِ كَلِمَتِهِ وَسَبِيلِهِ فِي الْخَلْقِ وَفِي الْوُجُودِ .

وَقَدْ تَكُونُ عِبَارَةُ « بَذْلِ الرُّوحِ » سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ الْمَنَازَعَةِ فِي مَوْضُوعِ مِلْكِيَّةِ الذَّاتِ ، فَيُظَنُّ الْبَعْضُ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ حَقّاً !! ، وَهَذَا وَهُمْ لَا حَقِيقَةَ ، لِأَنَّ الْمِلْكِيَّةَ هُنَا مِلْكِيَّةٌ عَارِضِيَّةٌ ، مِلْكِيَّةٌ آتِيَّةٌ ، مِلْكِيَّةٌ الْمَسْئُولِيَّةُ فِي الضَّبْطِ وَالتَّقْوِيمِ وَالْهُدَايَةِ ؛

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

وأيضاً ...

فإِنَّا لَا نَمْلِكُ لَأَنْفُسِنَا .. لَامُوتاً وَلَا حَيَاةً ... وَلَا نُشُوراً ... !

* * *

إذا ...

يَنَعْدِمُ مَوْضُوعُ الْحُزْنِ ، وَيَزُولُ ... ، وَيَفْقَدُ أَسْبَابَهُ وَمُوجِبَاتِهِ
رِدْوَانِيهِ ، وَلَعَلَّنِي - عَزِيزِي الْقَارِيءَ - أُسْتَعِيدَ مَعَ «عَبْدِ اللَّهِ
بِـنِ رُوَاحَةٍ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَوْلُهُ وَهُوَ فِي مَعْمَعَةِ الْمَعْرَكَةِ ،
يُخَاطَبُ نَفْسَهُ ، وَيَذَرُّهَا عَنْهَا وَسُوسَةَ الشَّيْطَانِ بِإِثَارِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى
الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ :

- [يَا نَفْسُ إِلَّا تُقَتِّلِي تَمُوتِي ...]

فَأَذْرُكُ مَعَهُ صِحَّةَ الْمَعَادِلَةِ وَسَلَامَةَ الْقَضِيَّةِ .

لَقَدْ كَسَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَاجِزَ الْخَوْفِ ، وَتَخَطَّى سَدَّ
الْحُزْنِ ، وَأَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ رَاضِياً مُرَضِياً .

وَلَيْسَ فِي مَوْضُوعِ الشَّهَادَةِ فَقْدَانٌ حَتَّى يَكُونَ هُنَاكَ حُزْنٌ ...

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

الوسام الثامن :

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ... ﴾

إن بين النعمة والنُّعْمة جَذَرِيَّةٌ لغويَّةٌ واحدة ... ؛ وعليه فإن
نعومة الكلمة ورقَّتْها ...

ونعومة الإبتسامة وإشراقها ...

ونعومة الكسْب ورفاهة العيش ...

ونعومة الملمس والمضجع

ونعومة المتقلَّب والمركب

وو ... إلخ .

كُلُّ ذلك في الحياة الدنيا من النِّعم التي تنزِّل على المرء وتُلْفُهُ
وتُحِيط بِحَيَاتِهِ من الولادة حتَّى الموت .

وهي كثيرة وفيرة ، لا تَقَعُ تَحْتَ حَصْرِ وَعَدٍّ ...

﴿وَأِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُوهَا﴾^(١)

إن نعمة الشبع بعد الجوع

ونعمة الرى بعد الظمأ

ونعمة الراحة بعد الشقاء ، والسقى

ونعمة الثوم بعد الأرق والجهد

ونعمة الكلمة الطيبة بعد اللجاج والعناد والخصومة ...

ونعمة الابتسامه بعد التجهّم والعبوس

ونعمة الصّحة بعد المرض

كله نعمة ترتدّ على الإنسان ، لا فرق في ذلك بين غنى وفقير ،
أو أمير وحقير ، وسيّد ومسود ... ، ومؤمن وكافر ... ،

لأنّ اللذة في العيش لحظات تعقب المكابدة المستمرة ...
المتصلة ... ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٢) .

لحظات شعور جسّي ووجداني عابرة ، ثم تمتصّها وتجذبها إلى
القاع دوامة الحياة ، فإذا بها ذكرى ... أو كالطيف .. ، تُسترجع في
الخيال .

وإذا كان بين النعمة والتعومة - في الحياة الدنيا - جذرية لغوية ،
نبت عن المضمون والمعنى ، فإنها في الآخرة « نعيم » ...
نعيم مُقيم ،

فيه المبالغة المطلقة

لأنه من عند الله تعالى ، المنعم المتفضل ...
من أجل هذا كان استبشارهم ...

لأنهم من حين إطلاعهم على الآخرة ، على دار المقامة ...
احتضنهم نعيمها ، فتلقتهم الملائكة بالبشرى ... بالكلمة اللطيفة
الطيبة ، بالبسمة العريضة ... بالمنزلة الكريمة ... بالنعومة ...

ألا تلاحظ معي - عزيزي القارئ - قول الله تعالى :

﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ... ﴾

ولباسُ عنوان ورمز ، والحرير أنعم اللباس ملمساً ، وأرقها
والأطفها ... !

وها هم « الشهداء » ... قد استبدلوا أثوابهم التي لطختها

الدِّماء ، وعَفَرَتْهَا الأَثَرِيَّةُ ، وَخَالَطَتْهَا طِينَةُ الأَرْضِ ، بِأَنِّعَمَ لِبَاسٍ
وَأَرْقَهُ .

وكذلك شَأْنُ الْمُتَّقِينَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضاً ، الَّذِينَ عَزَفُوا عَنْ رِقَّةِ حَرِيرٍ
الدُّنْيَا وَتَعَوَّمَتْهُ إِلَى رِقَّةِ حَرِيرَةِ الآخِرَةِ ...

* * *

يُرَوَّى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عمر بن عبدالعزيز» - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
- ، الَّذِي نَشَأَ وَتَرَعَرَغَ مُتَرَفِئاً مُرْفَهً ، إِذْ كَانَ وَالِدُهُ «عبدالعزيز»
وَالِيّاً عَلَى مِصْرَ ، يَعِيشُ فِي بِحْبُوحَتِهَا وَخَيْرِهَا عَيْشِ الْمُلُوكِ ...

يُرَوَّى عَنْ «عمر» أَنَّهُ كَانَ فِي مَطْلَعِ شَبَابِهِ إِذَا أُوتِيَ لَهُ بِالثَّوْبِ
اللَّيْنِ ، مِنْ الدَّمَقْسِ وَالْحَرِيرِ ، وَبِأَعْلَى الْأَثْمَانِ وَأُبْهَظْهَا ، يَقُولُ عَنْهُ
بَعْدَ أَنْ يُعَايِنَهُ بِالْمَسِّ وَاللَّمْسِ : مَا أُخْشِنَهُ !!!

ثُمَّ لَمَّا فَقِهَ وَتَعَلَّمَ ، وَدَرَسَ وَبَحَثَ وَوَعَى .. ، وَآلَتْ إِلَيْهِ مَفَالِيدُ
الْخِلَافَةِ ، وَأَحْسَنَ بِمَسْئُولِيَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى النَّاسِ ، كَانَ يُؤْتَى لَهُ بِالثَّوْبِ
الرَّخِيسِ الْخَشِينِ ، حَسَبَ طَلَبِهِ وَوَصِيَّتِهِ ، كَانَ يَقُولُ عَنْهُ :
مَا لَيْتُهُ !! وَمَا أَتَعَمَّهُ !!!

* * *

عزيز القارىء :

ولا يمكننا أبداً أن نَحْصُرَ نعيم الآخرة بوجهٍ مُعَيَّن وجهَةٍ
واحدة ، أبداً ... ، بل هو عامٌ وشامل ، يهيم على كُلِّ الذات
و ... يَغمرها .

* * *

في الحياة الدُّنيا ... نِعْمَةٌ !!!

بالصيغة الفردية المحدودة ...

وفي الآخرة ... نعيم !!

بالصيغة العامة المطلقة ... والمبالغة . - أيضاً . !

* * *

وكانَّ العُودة والتكرار في الآية على الاستبشار بالنَّعمة تأكيد
ورمزية ...

تأكيد على معنى النِّعيم ، ليستقرَّ في الأذهان والعقول والقلوب ،
فتتوجَّهُ إليه وتتعلَّق به ، وتنحصر في سبيله ...

والرمزية أشبه ما تكون بواقعا الحياتي المعاصر عندما نقول : مُنَح
(فلان) وسام الفارس من (الدرجة) الأولى ، أو الثانية ... ،
مثلاً .

فَرْتَبَةُ النِّعَمِ لِـ الشَّهِيدِ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَعْلُومَا رُتَبَةً ، إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ
وَالصَّادِقُونَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا .

الوسام التاسع

﴿ ... وَفَضْل ... ﴾

والفضل - كما قدّمنا ، وكما هو مفهومه اللغويّ : الزيادة .

يُقال : ما فَضَّلَ عن الحاجة ، أى ما زاد عنها .

تُرى ما هو الفضل المقصود هنا ؟

لقد ذهبَ علماؤنا وأشياخنا المفسّرون في تقرير هذا المعنى وبيانهِ
مذاهبَ شتى وأولوهُ تأويلاتٍ كثيرة ، كلّها يصبُّ في خانةِ الزيادة .

ولكن هل هناك ، عند الشهداء في الآخرة ، إحساسٌ بالنقصان
حتى تُقابلهُ الزيادة .. ؟!

معاذ الله ...

إنَّه - سبحانه - ربُّهم ، أحسنَ مثوائهم ، بكلِّ ما أُعْذِقَ عليهم
من الأوسمة ، وأكرمهم بها ، فتعَمَّوا بفيضاتٍ من الخير ،
لا تستدعى زيادة عطاءٍ وفضلٍ بالمفهوم العادى المألوف ...

ولكنّ ...

المرتبة والمنزلة هي الفضل على الحقيقة ...
منزلتهم ومرتبتهم بعد الأنبياء والصّديقين .

* * *

فالنّبوة صفوة بشريّة قدّرها الله تعالى في إنسان ، اختاره ورعاه ،
وربّاه على عينه ، ثمّ بوّاه مكانته القيادية في الهداية ، وأعزّه
بالوحي ...

والنّبوة خلاصة كيّان بشريّ ارتقى بالاختيار والتربية والتوجيه
إلى العصمة عن كل هفوة أو سقطّة ...

إنّه بشريّ الجسد ... ملائكيّ النّفس والروح والذات ...
وهنا - عزيز القارئ - تكون المعاناة .
أية معاناة ؟؟!

إنّ الملائكة مخلوقات لا يعصون الله ما أمّرههم ويفعلون
ما يؤمرون ، ليست لهم أجساد قد رُكبت فيها طاقات وشهوات ،
وميوّل وأهواء ونزعات ...
من هنا كانت المعاناة ...

شِدَّةُ الصراعِ بَيْنَ الذَّاتِ الملائكيَّةِ الطاهرةِ في كيانِ الأنبياءِ -
صلواتِ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين - وَبَيْنَ معاشَةِ الجِسْمِ البشريِّ
وحاجَّاتِهِ ومتطلباتِهِ ،

ثم غَلَبَةُ النُّبُوَّةِ بهدَايةِ اللهِ وتوفيقِهِ وتدبيرِهِ ... وتقديرِهِ .
إنها - ولاشك - المُرْتَبَةُ الأولى والأَعْلَى والأَسْمَى بَيْنَ البَشَرِ

* * *

ويَأْتِي بَعْدَهُم الصَّادِقُونَ ...

أُولَئِكَ الَّذِينَ دَيَّنَهُم الصِّدْقُ وَمَبْدُوهُمْ ...

لَا يَفُوتُهُمْ وَلَا يَتَخَلَّى عَنْهُمْ فِي آيَةٍ خَاطِرَةٌ ...

لَقَدْ وَضَحْتُ طَرِيقَهُمْ وَمَحَجَّتَهُمْ عَلَى بَيضاءِ نَقِيَّةٍ ، لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا
فَهُمْ عَلَى خَطِّ النَّبُوَّةِ سَائِرُونَ ، وَمَعَ الرُّسُلِ مَاضُونَ ... وَاثِقُونَ ...
مُطْمَئِنِّونَ ... ثَابِتُونَ ... عَازِمُونَ ... صَادِقُونَ ... صِدِّيقُونَ .
ولهذا كَانُوا فِي المُرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ .

* * *

أما الشُّهَدَاءُ

الَّذِينَ عَاشُوا بِبَصَرِهِمْ وَبَصِيرَتِهِمْ آخِرَتِهِمْ ... وَهُمْ لَا يَزَالُونَ فِي

الحياة الدنيا ، ثم اشتَمُوا ریح الجنة ونعيمها فَمَلَأُوا نُفُوسَهُمْ ... وسرى في
كِيَانِهِمْ ... فَأَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ صَادِقِينَ مُصَدِّقِينَ

أُولَئِكَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ ...

وَهِيَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ !!!

* * *

الوسامُ العاشر :

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ ... ﴾

في الحياة الدُّنيا ...

حتى الحقوق قد تضيع ... قد تُؤكل ... قد تُهضم ... ، قد يتسلَّط عليها قوى ظالم ، أو مُستبدُّ طاغية ، فيأْتِي عَلَيْهَا ، ويتنكَّر لأصحابها ... ، وبهذا يَحْتَلُّ ميزان العدل ،

وكم من ظاهرة دالة على ذلك ، على مُستوى الأفراد وعلى مُستوى الشعوب وعلى مستوى الأمم والدُّول .

الحقوق المكتسبة من الله تعالى ، كحقِّ آدمية والانسانية ، والحقوق المكتسبة بالجهد والبذل والعرق ، والدموع أحياناً ...

هذه الحقوق لا تضيعُ عند الله تعالى ، فهي في مخزون الحسنات والسيئات ، إلى يوم يُبعثون ، حيث يقوم الميزان الحقِّ في حساسية ودقة .

* * *

هذا بالنسبة إلى الحق المجرد ، الذى يُقابله الواجب ...

فما بالك بالإحسان ؟؟؟

لقد سئل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال :

[أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ]^(١)

والإحسان فى العمل هو الإتيان ...

أدؤاه على الوجه المطلوب وزيادة ...

زيادة الرّونق والبهاء والتّجميل ، أو بَدَل المزيّد فوق المطلوب ،

إِرضاء لِرَبِّ العمل ، وإِرضاء للذات فى نفْس الوقت ...

والشهداء من المُحسنين ...

أَحْسِنُوا الاعتقاد ...

وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بالله تعالى .

وَأَحْسِنُوا القُدومَ عَلَيْهِ .

لقد أَحْسَنُوا الْفِكْرَ وَالْعَمَلَ ، فكان وسامُهم العاشر ... ب ﴿ أَنْ
اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

* * *

هَلَّا نَظَرْتُ - عزيزي القارئ - إلى ما يُسَمَّى
بـ « الخوافز » ... إنها لَيْسَتْ أَجْراً إضافياً : (Over-Time) ، يُعْطَى
لمزيد من العمل والإرهاق ، بل هي تَقْدِيرٌ لـ « الصَّدَق » و
« الإخلاص » و « الاتقان » ؛ إنها أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ !!!

وإذا كانت الخوافز في الحياة الدُّنْيَا على هذه الصُّورَةِ الهزيلة من
المادِّيَّةِ المحدودة ... بنعمة بَشَرٍ على بَشَرٍ !!!

فما بِالْكَ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ !!

كلمة أخيرة

لعلّى عزيزى القارئ قد ألمحْتُ إلماحاً إلى الأوسمة العشر التى
اختص الله بها الشهداء فى سبيله ، واجتباهم على غيرهم من عباده ،
فاكرمهم وأعلى من شأنهم ...

ونحن ولاشك نعاصرُ زمناً أُخَوِّجُ ما تكونُ فيه إلى الصّدق مع
الله سبحانه

نحنُ أمةُ الإسلام ، التى تُعانى فى كُلِّ بضعةٍ من جسهما داءٌ دويماً
يكاد يقضى على البقية الباقية منها ...

ولعلّ فى الشهداء الذين مضوا على الطريق ، قديماً وحديثاً ،
فكانوا المعالم الحية فى الدنيا والآخرة ، خير حافزٍ لنا أن نطلب
الشهادة .. !

والشهادة فى الله مفتاح الفلاح لِلأُمم ومبادئها ...

وضمنان ما عند الله ...

وما عنده - سبحانه - خير وأبقى .

والسلام عليك .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	الشهيد في الإسلام
١٢	سبيل الله
١٥	الشهيد في الإسلام
١٩	الوسام الأول
٢٦	الوسام الثاني
٢٩	الوسام الثالث
٣٢	الوسام الرابع
٣٦	الوسام الخامس
٥١	الوسام السادس
٥٥	الوسام السابع
٥٧	الوسام الثامن
٦٣	الوسام التاسع
٦٧	الوسام العاشر
٧٠	كلمة أخيرة



قال تعالى : وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا
 آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
 بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٧﴾
 * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
 أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾

صدق الله العظيم

كدكتاب: 111G014

عنوان: الشهيد واسمته العشرة

موضوع: ١١١ / اسلام

قيمت اوليه: \$ 2

تخفيف: (٣٠٪) قيمت فرو